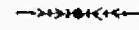


هــذا زماننا

للأستاذ محمود محمد شاكر



أراد جماعة من الذين كتب الله عليهم أن يرتزقوا باسطماع السياسة ، أن يعقدوا معاهدة بينهم وبين بريطانيا بتعضون بها في أسر العراق على ما خيات لهم أنفسهم وأنفس البريطانيين ، ووقف يمينهم بتمجيب ممن زعم أنه يضع توقيمه الكريم على معاهدة فيها يخس الحقوق العراقية وإيس هذا بمجيب من سياسة بريطانيا ، فقوام السياسة البريطانية هو الخداع ، والإصرار على الخداع ، وتوبيخ الخداع ، حتى يبلغ الأمر مبلغ الصفاقة المذهبة في عرف الساسة البريطانيين . ولما نلوم بريطانيا ولا ساستها على هذا المذهب القبيح ، فهم إنما يترفقون إلى غلاتهم بما وسعهم من الذهب والمسكر ، ولما كنا نلوم أولئك المتبعجين ممن راموا أن يكونوا أهل سياسة في هذا الشرق العربي أو الإسلامي ، إذ يخادعون أنفسهم ويخادعون أهلهم عن فساد بين في أسر هذه المعاهدات ، وهم بذلك إنما يدمرون شعوبهم بما في أنفسهم من العجز واللاجابة وقلة المعرفة بسياسة الشعوب التي انبعثت من رقتها مطالبة بالحياة الحرة الكريمة . ومصدق هذا ما وقع في العراق ، فلم يكذب يظهر طرف من سر تلك المعاهدة الخبيثة التي أرادت بريطانيا أن تكبل بها العراق ، حتى هب الشعب الأبى هبة واحدة فقوض أركان تلك المعاهدة على رؤوس « بناء الإمبراطورية » ، وعلى رؤوس أذنابهم من الساسة المرتقة ، فدل ذلك دلالة بيّنة على عجزهم ولجأهم وقلة معرفتهم بسياسة الشعوب الناهضة الريددة للحياة والحرة .

وما الذي كانت تريده بريطانيا من تلك المعاهدة الباغية ؟ كانت تريد أن تجعلها مثالا يحتذى في معاهدات تعقد بينها وبين مصر والسودان ، ولبنان وسورية وجزيرة العرب واليمن وسائر بلاد هذا الشرق ، فجاءت ثورة العراق فزلزلت قواعد هذا الوهم المنتشر الذي سوت لبريطانيا نفسها أنه بناء جديد تقوم على أساسه سياسة الإمبراطورية البريطانية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية.

جاءت هذه الثورة فكانت سُنّة جديدة في توجيه سياسة العرب توجيهاً غفل عنه المرتقة من السياسيين القدماء في هذا الشرق ، وجاءت فكانت برهاناً جديداً على أن الشرق العربي والإسلامي إن بنام مرة أخرى على خدع البريطانيين وخيانة المرتقة من السياسيين ، وعلى أن الحياة التي دبت في العرب لن تتسكع مرة أخرى في أوصال هذا الكيان القوي العميق المتراحم ، بل سوف تتدفق في نواحيه كلها إلى أن يستوى عوده على الهيئة التي نجدها كياناً صحيحاً في هذا الكون الذي يغلي من حوله بالثورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ليس هذا غريب ، بل علينا منذ اليوم أن ننظر ماذا كانت تريد بريطانيا بعقد هذه المعاهدات ؟ كانت تريد أن تجمع دول العرب على معاهدات يكون لها فيها الغم وعلينا الغرم ، أي أن بريطانيا كانت تريد أن تستعيد العرب جملة واحدة وتسيرهم في أغراضها على نظام متفق لا تشذ عن دولة عربية واحدة ، سواء أ كانت مستقلة استقلالاً صحيحاً أم كانت مستقلة استقلالاً مشوباً بالعبودية للإمبراطورية البريطانية ، ومعنى ذلك أيضاً أنها تعلم أن العرب سوف ينتهي بهم الأمر إلى أن يكونوا أمة واحدة ، فهي تريد أن تسبق الزمن وتجمع هذه الكتلة الواحدة في قبضة يديها حتى لا ينتشر عليها الأمر . وهذا غرض بين جداً ، ودوافعه أشد وضوحاً واستبانة . فهل آنا أن نتنبه إلى الوضع الصحيح الذي ينبغي أن نكون عليه مطالب العرب فيما هم بسبيله من إحراز حقوقهم كلها جملة واحدة ؟

لقد كتبت منذ سبعة أشهر كلمة في هذه المجلة بعنوان « شعب واحد ، وقضية واحدة » ، وذلك في العدد ٧٣٠ بتاريخ ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٧ قات فيها : « إن قضية العرب قضية واحدة بينة العالم : هي أننا لا نريد إلا أن نكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندي واحد ، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعمه إلى مصبه سلطان بريطاني أو غير بريطاني ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يبعث في أرجاء مغربها فرنسي خبيث القول والفعل مجنون الإرادة ثم قلت في آخرها : « وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلمتها ، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل

مثل هذا البيان الشامل الذي لا يفرق شيئاً بين الوطن العربي كله ولا بين المستعمرين أيا كانوا .

إنى أدعو الجامعة العربية ورجال السياسة الأحرار أن لا يفرقوا في الدعوة إلى الحرية ، أدعوم أن لا يفرقوا قضية العرب أجزاء كل جزء منها يخضع لسياسة تخدم أو تقوى في يد من يتولاها . فقد فهمت بريطانيا هذا ، فأرادت أن تنهض مثالا يحتذى في المعاهدات التي تعقد بينها وبين العرب ، وأرادت أن تحمل فرنسا وأسبانيا على الاتفاق على أسلوب جديد بصطاحان عليه في الاتفاق مع بلاد المغرب العربي ، يسير على أساس السياسة التي تريدها بريطانيا في اعتبار العالم العربي جملة واحدة تسخر في ركاب الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني . فواجب الجامعة العربية وواجب الحكومات العربية أن تسبق هذه السياسة اللئيمة سبقاً يكفل للشعوب العربية أن تعرف الوجه الذي تسير فيه . فلا مناص إذن من أن تتفق كلمة الدول العربية على أن لا تعقد إحداها معاهدة قط مع إحدى الدول المستعمرة ، وعلى أن لا تقبل تقسيم القضية العربية إلى أجزاء ، وعلى أن تكون دعوتها ودعوة شعوبها صرخة واحدة مجتمعة في وجه الاستعمار على اختلاف ألوانه وأسبابه والفائمين به ، وهي الجلاء الناجز عن بلاد العرب جميعاً ، ثم عن بلاد الإسلام كلها في نواحي الأرض . فإذا توانت حكومات العرب ، وإذا تلجلجت الجامعة العربية ؛ فغبة ذلك أن تدور على هذه الشعوب زمناً يطول أو يقصر ، كانت خليفة أن تبلغ فيه ما تريد من نيل الحرية الكاملة ، والاستقلال الناجز التام .

إن ضعف الفائمين بالسياسة العربية ، لا ينتهي إلا إلى ضياع الوقت وضياع الحقوق . ونحن لانطالب المستعمرين بشيء ، لأنهم لا يملكون شيئاً هم قادرون على أدائه . إنهم مفتصبون ، ونحن نوار على هذا القصب ، وهم طغاة ونحن لا نقبل هذا الطغيان ، وهم يملكون أسباب القوة المادية ونحن نملك أسباب القوة الروحية ، وهم ظلام ونحن لا نرضى بهذا الظلم ، وهم يتحكمون بالاستعمار والاستعباد ، ونحن نتمنى عن الاستعمار والاستعباد . فهذه القوة التي انطوى عليها حقنا ، يقابلها ضعف ينطوى عليه افتياهم علينا . ومصير ذلك كله إلى الغلبة والانهيار إذا أحسن رجالنا الاستعداد لهذه الموقعة الفاسلة في تاريخ البشر .

قضيتنا أجزاء بتلعب بها هذا ويلهبها ذلك . إنها قضية واحدة ، يرهبها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار في بلادنا . وأنا لا أنقل هذا لأعرض على الناس شيئاً مما كنت توقعت ، بل لأقول إن السياسة البريطانية قد علمت علم هذا كله ، فهي تريد أن تسبق الزمن لتضمننا في الإصر الشديد الذي يسمى بالمعاهدات ، ولتستعبدنا في أغراضها ، ولتنتقم منا ومن تاريخنا ، ومن قديمتنا وحديثنا . وأقول إن سياسة الشرق وسياسة العرب لا يزالون يعيشون في غفلة الخيانات القديمة التي تولى كبرها رجال ظنوا أنهم زعماء هذه الشعوب ، أى أنهم قد ملكوا رقابها فهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ، وذهبوا بفاوضون بريطانيا فيأخذون منها شيئاً وينزلون لها عن أشياء كثيرة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنماً ، فتبت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، فقد جروا الشرق كله إلى مضلة لا يهتدى فيها سائر إلى علم .

ولكن الشعوب العربية كانت أشد منهم قوة ، وأهدى إلى مواطن الحق ، فما كادت تشب الثورة في العراق حتى نادى أهل العراق بالجللاء الناجز « عن جميع البلاد العربية » ، وهذه الكلمة الشاردة هي كلمة الحق التي سوف ينتهي أمرنا إليها ، أبى السياسيون القداماء أم رضوا . فالبلاد العربية من العراق إلى الجزيرة إلى الشام إلى لبنان إلى فلسطين إلى مصر والسودان ، إلى تونس والجزائر ومراكش ، أمة واحدة ، والاستعمار فيها واحد ، ومطالبها واحدة . فينبغي إذن أن تصاغ قضية العرب على هيئة واحدة ، لا في السياسة الخارجية وحسب ، بل في موقفنا جملة واحدة في وجه الطغيان الاستعماري كله ، سواء جاء بهذا الاستعمار بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا أو هولندية أو أية دولة على ظهر الأرض . وينبغي أن تعدل سياسة الدول العربية جملة واحدة ، فتطالب بمطلب واحد لا تقبل فيه هوادة ولا تخفيفاً ولا مساومة ، هو جلاء الاستعمار عن بلاد العرب كلها . واقد سبق الشعب العراقي حكومته إلى هذا الرأي ، فنحن نرجو أن يحمل الشعب العراقي حكومته على أن تصرح بهذا المطلب تصريحاً رسمياً في بيان تصدره بطلب الجلاء الناجز عن جميع البلاد العربية ، وتتهجد بأن لا تقبل مفاوضة ولا محادثة ولا مخاطبة ولا مهادنة في هذا المطلب أبداً . فإذا قدمت العراق ذلك ، فعلى سائر الحكومات العربية أن تصدر

لم يبق شيء في تاريخ البشر يحمل طابع الفساد والدمار ، إلا هذا الجشع الذي يحمل أمم الغرب على أن يضموا أيديهم على كنوز العالم ؛ ليقا تل بعضهم بعضاً في حرب مبيدة مدمرة . وقد عرف هذا الغرب أن الشرق كنوز كاه ؛ فهو يجاهد أن يستولى عليها بما استطاع من الحيلة ومن الأزم ، ومن إهدار الكرامة الإنسانية ، ومن قلة المبالاة بانفساد هذا الشرق وإفساد أهله حتى ينال منه مثلاً يكفل له حرية التصرف في كنوزه . فعلينا أن نقف حراساً على كنوزنا لا نبيحها بعد اليوم لأحد . وعلى رجال السياسة منا أن يغيروا مناهجهم السياسية تغييراً تاماً يقوم على أساس واحد ، هو أننا لن نمارن هذا الغرب على الفجور في الأرض ، وأنها تمنع عنه مادة الفساد التي يريدها لتدمير حضارات العالم ، وأنها قد عزمنا أن ننشئ مدينة جديدة وحضارة جديدة لا تقوم على الجشع ولا على الاستبداد . وأنها أحرار في بلادنا كل الحرية وإن اجتمعت دول العالم كله على إنكار هذه الحرية . ولا يصل العرب والمسلمون إلى هذا إلا بشيء واحد هو أن تجتمع الكلمة في الأرض العربية والأرض الإسلامية على هذا الشيء الواحد ، وهو أن لا مفارقة ولا معاهدة ولا مخافة ولا مهادنة ، وأن الشرق لن يستقر على قرار حتى تبحل الجنود المستعمرة عن أراضيها كلها ، وأن كل عون للاستعمار في هذا الشرق من الأجانب واليهود الصهيونيين قد كتب عليهم أن يخرجوا من بلادنا إلى حيث شاءوا ، وأنها لن تقبل دون هذا شيئاً بصرفنا عن الفرض الأعظم ، وهو تجديد حضارة العالم على أسس من العدل والحق والمساواة والحرية . هذا هو المطلب الأعظم الذي ينبغي أن توجه إليه سياستنا كلها ، لا نخدعنا عنه خطرفة السياسيين المتهاككين الذي يقولون للشرق : أنت عاجز ، فن لك ببلوغ هذا المطلب البعيد المرق في الخيال !

كلا ، ليس الشرق عاجزاً بل هو أهل لما تحلل ، وإن تراءى للناس على غير الحقيقة المستكنة وراء هذا الطوفان من الفقر والجهل والفساد . فإذا عزم العرب وعزم رجاله وقواده أن يفعلوا ، فلن يحول بينهم وبين ما يبتغون شيء جل أو تفاقم . بيد أننا اليوم في حاجة إلى الأخذ بهذا المبدأ الواحد ، وإلى إزالة أولئك السياسيين القدماء عن مكان القيادة في بلادنا ، وإلى تقديم الفئة

الصالحة إلى هذه التهمة الجليلة لنجعلها حلالاً لا يجرها ولا يصرفها عنه خوف ولا تردد . ولقد سبق العراق ، وسوف تتبعه سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولن نلبث قليلاً حتى نرى في هذا الشرق عجائب القوة العظيمة التي انطوت عليها جوارحه ، فلا بد من أن تفسح الحكومات الطريق للعمل القوي الماضي الذي لا يرد عن غايته ، ولا بد من أن تدفع الشعوب عن نفسها طغيان السياسيين المخادعين المنافقين ، ولا بد من أن يتولى العرب بأنفسهم حل هذه القضية الواحدة بالعبر والمقاطعة ، وبالعزم والجلاد ، وبالتضحية الكبرى في سبيل إنقاذ البشر من فتن كقطع الليل المظلم ، ومن فساد جارف كالسيل المتدفق ، ومن طغيان قد قد ارتعاه فيه هذا العالم القديم الذي قام على أسس فاجرة من الجشع . أفيقروا أيها الناس ، واستيقظوا أيها الحكومات ، وتقدموا أيها الجامعة العربية باسم العرب إلى حمل التهمة العظيمة . والزمن أسرع منكم ، فبادروه بالعمل والصرامة ، وبالصدق والإخلاص ، فإن حياتكم وحياتكم أممكم معقودة بشيء واحد ، هو ثباتكم على المبدأ الأعظم ، وأخذكم بالقوة التي استودعها الله في قوسكم وغفلتم عنها أجيالاً طوالاً . هبوا فقد أنى زمنكم ، واعدكم الله شيء ، أنتم بالقوة في الناس وفي أنفسكم .

محمود محمد شاكر

مجلس مديرية القليوبية

يطرح في المناقصة العامة توريد
وتشغيل الأنث اللازم لعماد المجلس .
وتطلب كراسة المناقصة من المجلس
بينها نظير مبلغ ثلاثمائة مليم على
ورقة نمرة .

وآخر ميعاد لقبول المطامات ظهر
يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٤٨ وفتح المناقصات
يوم ٢٩ منه الساعة التاسعة أفرنكي
صباحاً ٨٨١٤